المجلة العربية للعلوم الانسانية ـ العدد السابع ـ المجلد الثاني ـ ص ص (٨٩ ـ ١٢٥)

# دراسة تحليلية نقدية لمخطوط تاريخي محفوظ في مكتبة برلين رقم Ms.9835

**حياة ناصر الحجي**
**رئيسة قسم التاريخ ـ جامعة الكويت**

**ملخص**

يتضمن هذا البحث دراسة مخطوط نفيس تحتفظ به مكتبة برلين ضمن مجموعاتها النادرة ، وقد أحاطت ظلال من الشك حول حقيقة مؤلف هذا الكتاب . ففي الوقت الذي عزى فيه الفارت ـ مصنف فهرس مكتبة برلين ـ هذا الكتاب إلى ابراهيم مغلطاي اعتماداً على صفحة الغلاف التي كتب عليها اسم ابراهيم مغلطاي ، بخط يختلف تماماً عن الخط الذي كتب به المخطوط ، تكشف الدراسة المتأنية لمحتويات هذا المخطوط النادر أن مؤلفه الحقيقي هو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري نقيب الجيوش في عهد الناصر محمد بن قلاون ، وقد نص عليه صراحة في بعض المواضع من هذا المخطوط ، وقد تأكد هذا من خلال مقارنتنا هذا المخطوط بمخطوط مشابه قام بنشره في بداية هذا القرن المستشرق زيتيرشتين .

ويضم هذا المخطوط معلومات تاريخية قيمة عن فترة حكم الناصر محمد بن قلاون ـ أزهى فترات التاريخ المملوكي ـ لا نجد لها أثراً في كتب التاريخ التي تناولت هذه الفترة ، مما يعطي لهذا المخطوط قيمة تاريخية متميزة ، ولا ترجع القيمة الحقيقية لهذا المخطوط باعتبار أن مؤلفه كان معاصراً لتلك الفترة فحسب بل كان ـ بحكم منصبه ـ مطلعاً على أدق أسرار البلاط المملوكي ، فهيأت له الظروف أن يطلع على أسرار لم تتح لغيره من المؤرخين . فهو وثيقة تاريخية سجل فيها أحد كبار الأمراء في البلاط الناصري أخبار سلطنة المماليك إبان تلك الحقبة التاريخية .

تحتفظ مكتبة برلين ضمن مخطوطاتها العربية الضخمة بمخطوط نادر نفيس يتناول مرحلة هامة من مراحل التاريخ المملوكي (Berlin Ms. 9835) وهو مصنف تصنيفاً خاطئاً تحت عنوان « تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها » . تأليف ابراهيم مغلطاي ، وقد ذكر بروكلمان هذا المخطوط بناء على الفهرس والمعلومات التي وضعها « آلفارت » W. Ahlwardt في فهرسه لمخطوطات مكتبة برلين «Verzeichniss cler arabishchen Handschriften Berlin, 1887-1899, 10 Vol.»

ولعل السؤال الذي يلح علينا في بداية هذه الدراسة هو من المؤلف الحقيقي لهذا المخطوط ؟ على صفحة الغلاف نلاحظ عنوان المخطوط أنه من تأليف ابراهيم مغلطاي ، غير أن هذا العنوان قد كتب بخط حديث يختلف عن خط المخطوط .

ومن ناحية أخرى يلفت نظرنا بين أوراق المخطوط وبالتحديد تحت عنوان « ذكر أمراء نقباء الجيوش المنصورة » ( مخطوط برلين : ورقة ٦١أ ) عبارة « ثم تولاها بعده مؤلف هذا التاريخ المبارك وهو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري[1] ، خلع عليه بعد دفن الشيرازي في يوم الأحد المذكور قبل ( الخامس من محرم سنة ثمان وثلاثين وسبع ماية ) وباشر الوظيفتين نقابة الجيوش المنصورة ونقابة المماليك السلطانية ، وقام بهما أتم قيام وشكرت سيرته وحمدت طريقته قال ناسخه أجمع أهل عصره على أنه لم يتولى هذا المنصب مثله في المعرفة والذكاء المفرط والكتابة الحسنة وطهارة اللسان والأدب والتواضع » ( مخطوط برلين : ورقة ٦١ ب ـ ٦٢ أ ) .

وعلى ذلك فمؤلف هذا المخطوط كان نقيباً للجيش في عهد الناصر محمد بن قلاون ، وهو الأمير بكتاش ، ويبدو أنه اتخذ لنفسه لقب الفاخري تيمناً باسم القائد الكبير بكتاش الفخري المتوفي سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م ( مخطوط برلين : ورقة ٥١أ ) أو تمييزاً له منه .

كما يذكر المقريزي ضمن حوادث سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م « وفيها استقر الأمير بكتاش في نقابة الجيش بعد وفاة صاروجا » . ( المقريزي ، جـ ٢ : ٤٠٤ )

وعلى ذلك ، فإن وظيفة نقابة الجيوش المملوكية تولاها شهاب الدين صاروجا ، ثم الأمير بدر الدين بكتوت الشيرازي ، ثم الأمير بدر الدين بكتاش صاحب هذا المخطوط .

كما نلاحظ أنه في تناوله لحوادث العصر يشير إلى السلطان الناصر محمد بكلمة « مولانا » ( مخطوط برلين : ورقة ٦٢ ب ، ورقة ١٠٨ ب ) .

بالإضافة إلى ذلك يذكر المؤلف ضمن حوادث سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م

**« في يوم الإثنين تاسع عشر من جمادى الأولى توفي شهاب الدين صار وجا نقيب العساكر المنصورة فجأة على ظهر فرسه بالأعمال الفيومية وكان صحبة الركاب الشريف في الصيد ، وحمل إلى القرافة ، ودفن بتربته ، وتولى بعده بكتوت الشيرازي بامرة طبلخاناة ، وترتب عوض الشيرازي الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري بعشرة الشيرازي » ( مخطوط برلين : ورقة ١٠٧ ب ـ ١٠٨ أ ) .**

كذلك يذكر المؤلف من بين وقائع سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م أنه :

«لما كان سحر يوم الأحد خامس المحرم توفي الأمير بدر الدين بكتوت الشيرازي نقيب الجيوش المنصورة والمماليك السلطانية وفي هذا اليوم وقت العصر أخلع على الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري، وولي الوظيفتين وأعطى امرته اعانه الله على ما أولاه» (مخطوط برلين: ورقة ١١٢ ب).

إذن ، فالناسخ هنا يكرر ما سبق أن كتبه من أن مؤلف هذا المخطوط قد تولى بالفعل منصب نقابة الجيوش في دولة الناصر محمد من محرم سنة ٧٣٨ هـ / عشرين ـ تموز سنة ١٣٣٧م.

كذلك توجد في السلوك إشارة إلى استمرار الأمير بكتاش في نقابة الجيش ، بل وتمتعه بمكانة جليلة في بلاط الناصر محمد بن قلاون . (المقريزي، جـ ٢ : ٤٦٧).

ثم يشير المقريزي إلى وفاة الأمير بكتاش سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م:

«ومات الأمير بدر الدين بكتاش نقيب الجيش في يوم الخميس سابع عشر جمادى الآخرة، وكان مشكوراً. (المقريزي، جـ ٢ : ٦٧٤)

ويثبت ابن حجر هذه الواقعة في ترجمة حياة هذا الأمير فيقول:

«بكتاش نقيب النقباء بمصر سمع من التقى الواسطي ، وحدث،مات في جمادى الآخرة سنة ٧٤٥». (ابن حجر، جـ ٢ : ١٥)

ونتيجة لذلك ، فإننا إذا سلمنا أن مؤلف هذا المخطوط هو «أمير بكتاش الفاخري نقيب الجيوش السلطانية في الدولة المملوكية في الفترة ما بين ٧٣٨ هـ ـ ٧٤٥ هـ / ١٣٣٧ ـ ١٣٤٤ م، فماذا عن شخصية ابراهيم مغلطاي المكتوب اسمه على غلاف المخطوط؟ في الحقيقة رغم محاولاتنا العديدة في سبيل العثور على ترجمة حياة هذا الرجل، فإننا فشلنا في العثور على أية عبارة تشير إليه من قريب أو بعيد. كما يلفت نظرنا أن الخط الذي كتب به اسم المخطوط ومؤلفه يختلف اختلافاً كبيراً عن الخط الذي كتب به المخطوط. وعلى ذلك فإننا نستبعد أن يكون ابراهيم مغلطاي هو مؤلف هذا المخطوط، ونرجح من جانب آخر أن الأمير بكتاش الفاخري نقيب الجيوش السلطانية هو مؤلف هذا المخطوط كما تدل على ذلك صراحة كتابات المخطوط التي سبق أن أوضحناها.

ومن جانب آخر يثير انتباهنا ذلك التشابه الكبير بين تلك الكتابات الخاصة بمؤلف المخطوط وبين ما يورده مخطوط زيتيرشتين Zettersteen حول الموضوع ذاته ، من ذلك ما يقوله تحت عنوان «ذكر الأمراء نقباء الجيوش المنصورة» ( زيتيرشتين: ١٤٩ ). حيث يذكر تولى شهاب الدين صاروجا وظيفة نقابة الجيش، ثم تولاها بعد وفاته بكتوت الشيرازي الذي «توفي يوم الأحد خامس المحرم سنة ثمان وثلاثين وسبعماية، ثم بعده الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري أخلع عليه بعد دفن الشيرازي في يوم الأحد المذكور، وباشر الوظيفتين نقابة الجيوش المنصورة ونقابة المماليك السلطانية، وقام بهما أتم قيام، وشكرت سيرته، وحمدت طريقته قال ناسخه وأجمع أهل عصره أنه لم يلي هذا المنصب مثله في المعرفة والذكاء المفرط والكتابة الحسنة وطهارة اللسان والأدب والتواضع» (زيتيرشتين: ١٥٠). كما يؤكد مخطوط زيتيرشتين هذه الحقيقة بوضوح أكثر فيذكر ضمن حوادث السنة ذاتها:

« وفي يوم الإثنين تاسع عشرين جمادى الأولى توفي شهاب الدين صاروجا نقيب العساكر المنصورة فجأة على ظهر فرسه بالأعمال الفيومية وكان صحبة الركاب الشريف في الصيد ، وحمل إلى القرافة ودفن بتربته وتولى بعده بكتوت الشيرازي بأمرة طبلخاناة وترتب عوض الشيرازي الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري بعشرة الشيرازي » . ( زيتيرشتين : ١٩١ ) ثم يقول بعد ذلك ضمن حوادث سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م أنه :

« في سحر يوم الأحد خامس المحرم توفي الأمير بدر الدين بكتوت الشيرازي نقيب الجيوش المنصورة والمماليك السلطانية ، وفي هذا اليوم وقت العصر أخلع على الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري وولي الوظيفتين وأعطى امرته أعانه الله على ما أولاه » . ( زيتيرشتين : ١٩٥ ) .

وعلى ذلك فإن السؤال الذي لا بد أن يطرح هنا هو ما العلاقة بين المخطوط الذي

نعني بدراسته وبين مخطوط زيتيرشتين ؟ يذكر المؤ رخ كارل زيتيرشتين في مقدمة المخطوط الذي قام بنشره بعنوان

eitraege
Zur
Geschichte der Mamlukensultane in den Jahren 690-741 der Higra mach arabischen Handschriften
Herausgegeben
Von
k.v. zettersteen
Contributions
to the history of the Mamluksultans in the years 690-741 of the Higrah
edited by:
K.V.Zettersteen E.J. Brill, Leiden
1919.

« تنبه البروفسور المؤ رخ R. Roerciht إلى مخطوط عربي Quatremere 37 في مكتبة القصر والدولة في ميونيخ Kgl. Hof-U. Staatbih وطلب من الأستاذ ساخاو Sachau أن يرشح له من ينشر هذا المخطوط المهم بالنسبة لتاريخ الحروب الصليبية . وكان تنبيه البروفسور إلى هذا المخطوط في مقال له بعنوان : Der Untergang des Koenigreichs Jerusalem « سقوط مملكة أورشليم » ظهر في « نشرات المعهد النمساوي للدراسات التاريخية » Mittheilungen des Instituts fuer oesterreichisehe Geschichtsfoschung Xv.57. لكن البروفسور لم يستطع الانتفاع بالمخطوط في التاريخ الذي كتبه لمملكة بيت المقدس ورشح الأستاذ ساخاو لنشر المخطوط أحد تلاميذه وهو K.V Zettersteen فأعرب عن استعداده للقيام بذلك ، ووجد في مخطوط Petermann II., 615 في مكتبة برلين نصاً موازياً للقسم الأخير من ذلك المخطوط ، لكنه لم يستطع نشره إلا بعد ٢٣ سنة .

وللمخطوط قيمة تاريخية ، وقد اقتبس منه كثيراً كاترمير Quatremere في ترجمته لما كتبه المقريزي عن تاريخ سلاطين المماليك ، وكذلك انتفع به كل من Casanova, Weil, Kugler ووصف المخطوط وصفاً مفصلاً موجوداً عند كل من Aumer, Weil والمخطوط في أوله رديء ويتألف من قسمين :

القسم الأول : بقلم مؤلف معاصر للأحداث التي يتناولها الكلام ويشار إليه في مواضيع كثيرة ، ولكن اسمه لا يظهر أبداً ، وكما قد لاحظ Weil فإن عبارات الدعاء الكثيرة للسلطان الملك الناصر تدل على أن هذا القسم كتب في حياة هذا الملك الذي توفي في ٢٠ من ذى الحجة عام ٧٤١ هـ وإلى جانب ذلك يرد في المخطوط ذكر الرواة الآتية أسماؤهم الذين كان منهم من عاينوا الأحداث التي تروى أخبارها :

| | |
|---|---|
| أبو بكر البالي التاجر | ص ٣٦ س ١٩ |
| الشيخ أبو الكرم النصراني | ص ٣٣ س ١٣ |
| علم الدين البرزالى المؤرخ المعروف | ص ٧٦ س ١٣ |
| بدر الدين حسن الحمصي | ص ٣٦ س ١٩ |
| الأمير حسام الدين ازدمر المجيري | ص ١٠١ س ٥ |
| ابن قطينة | ص ٧٧ س ٣ |
| محمد بن البيجاعة المؤرخ | ص ٤٤ س١٣ |
| محمد بن ابراهيم الجزري | ص ١١٥ س ١٠ |
| نجم الدين أيوب الخشاب | ص ١١٢ س ٢٠ |
| الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري | ص ١٣٧ س ٥ |
| الشيخ سيف الدين علي الآملي | ص ١٠٤ س ٥ |
| الأمير سيف الدين بن المحفدار | ص ١٦ س ٢٧ |
| الشيخ صدر الدين | ص ٣٤ س ٤ |
| صفي الدين أحمد الخزري | ص ٨٨ س٤ |
| الأمير شمس الدين سنقر القشتمري | ص ٤٤ س ٩ |
| الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية | ص ٧٦ س ١٤ |
| الشيخ وجيه الدين بن منجى | ص ٧٧ س ٣ |

والمخطوط يرجع كثيراً إلى كتاب « زبدة الفكرة » لركن الدين بيبرس الدوادار

المنصوري . ويذكر المؤلف أحداثاً شاهدها بنفسه مثل أخبار ثورة المماليك في العاصمة عام ٦٩٤ هـ ( ص ٣٢ فما بعدها ) عندما لم يكن بيبرس ( بحسب Cod. L. B1. 187b) في القاهرة .

أما القسم الثاني : فهو من تأليف الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري المتوفي أواخر جمادى الثانية عام ٧٤٥ هـ ويختلف في طبيعته اختلافاً تاماً عن القسم الأول الذي لا يعرف مؤلفه بما فيه من أشعار وخطابات ديبلوماسية ، وفي النصف الأخير منه تذكر تفاصيل الأحداث حسب تتابع السنين وبلا تنسيق في الأسلوب ، وفي ص ٢٢٨ س ١٦ ـ ١٩ نجد تاريخ آخر صفر ٧٣٩ هـ ، لكن هذا التاريخ لا يدل على أكثر من أن القسم الخاص بالقدس يرجع إلى ذلك العصر ، فهو بهذا أقدم من الكلام عن السنين الأخيرة للسلطان الملك الناصر والقسم الذي ألفه بدر الدين بكتاش الفاخري يوجد ، من ص ١٤٦ فما بعدها ، في المخطوط Cod Petermann II, 615 ويدل بذلك على أنه اقتباس حرفي تقريباً من مصنف آخر .

ثم إن هذين المصنفين التاريخيين المختلفين فيما بينهما كل الاختلاف قد جمع بينهما محرر مجهول وجعلهما كتاباً واحداً ، كان بحسب ص ٢٤٩ س ٣ ( راجع الهامش الخاص بالموضع ) ، عبارة عن المجلد السابع من مصنف أكبر ، وتم المجموع بحسب ما جاء في الخاتمة ، في ١٧ جمادى الآخرة عام ٧٤٢ هـ ، ويبدو أن تاريخ نسخه لم يكن أقدم بكثير من مخطوط Cod. Petermann II, 615 والمخطوط الأخير (B) قد وصفه آلفارت Ahlwardt في كتابه بعنوان : Verzeichniss der arabischen Handschriften lx, No. 9835 لكن يحسن أن نعود مرة أخرى إلى التذكير ببعض الأمور ، ذلك أن أول المخطوط مخروم وآخره أيضاً ، وليس له عنوان ، وعلى ظهر الغلاف الأمامي عبارة من يد حديثة جداً ، وهي عبارة غير صحيحة ، وتقول إن المخطوط يشتمل على « **تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها تأليف ابراهيم مغلطاي** » .

والقسم الأول الذي نقدمه هنا والذي يشتمل على تاريخ الأيوبيين ودولة الترك في مصر يبتدىء بـ : « **الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب** » . وفي الورقة ١٢ ينتقل المؤلف إلى « **ذكر دولة الترك بالديار المصرية** » وبعد ذكر فتوحات الفرنجة يأتي من ورقة ١٧١ بقسم جديد بعنوان : « **ذكر ما جرى من الحوادث بالأماكن التي تذكر كالرياح والأمطار الغزار والبرد الكبار والسيول والصواعق والجراد لاستقبال سنة خمس وثمانين**

وستماية » . وهذه الملاحظات تمتد على الفترة بين ٦٨٥ و٧٢٥ هـ .

وفي الورقة ١٧٨ يأتي الكلام عن شمس الدين بن الجزري ، لكنه توفي ، كما لاحظ آلفارت ، في عام ٨٣٣ هـ ، وعلى هذا فإن القسم الخاص به لا بد أنه أضيف في عصر لاحق . وبين ورقة ١٨٥ و١٨٦ هناك فجوة ، يأتي بعدها قسم حول تاريخ المغول في فارس ، وهو يشمل الفترة بين ٧٢٨ و٧٣٧ هـ . وكون هذا المخطوط في الحقيقة جزءاً من تاريخ الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري تؤيده العبارة التالية « مؤلف هذا التاريخ المبارك » التي لا توجد في مخطوط M وتضاف لاسمه ( ص ١٥٠ س ٥ ) .

وفيما عدا ذلك كان تحت تصرف المراجع المخطوطات الآتية :

ويذكر كاتب المقدمة هذه المخطوطات وهي :

نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ( ليدن ) .
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ( المتحف البريطاني ) .
السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ( المكتبة الأهلية بباريس ) .
القسم التاسع من زبدة الفكرة ( البودليانا )
« درة الأسلاك في دولة الأتراك » للحسن بن عمر بن حبيب ( برلين ) .
« أعيان العصر وأعوان النصر » للخليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي ( برلين ) .

ثم يقول الكاتب إنه اتخذ مخطوط ميونيخ أساساً ، لأنه يحتوي على هذا المخطوط الذي ينشره وجعل ما عدا ذلك للقراءات المتنوعة للنص .

ويتحدث عن طريقته في النشر للنص وضبطه من حيث اللغة والهجاء وعن المخطوطات التي رجع إليها . . .

ويقول أخيراً إن المخطوط يشتمل على تراجم لكثير من الأشخاص وهي تستحق الدراسة والإكمال .

ولعل الملاحظة الرئيسية التي لا بد أننا تبيناها هي أن مخطوط زيتيرشتين يخلو من عبارة « ثم تولاها بعده مؤلف هذا التاريخ المبارك وهو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري . . . » ( مخطوط برلين : ورقة ٦١ ب ) حيث يقتصر الكلام على « ثم بعده الأمير بدر الدين

بكتاش الفاخري أخلع عليه بعد دفن الشيرازى . . . » ( زيتيرشتين : ١٥٠ ) .

وعلى ذلك فإنه ربما يمكننا بصورة مبدئية القول إن الجزء الأول من مخطوط برلين رقم Ms. 9835 من تأليف بدر الدين بكتاش الفاخري ، كما تدل عبارات المخطوط على ذلك بوضوح تام . كذلك نستطيع أن نحدد بصورة تقريبية من دراسة الحوادث التي يتناولها المخطوط العنوان الذي ينبغي أن يدرج تحته وهو لا يخرج عن « ملوك بني أيوب وسلاطين دولة المماليك الأتراك البحرية » .

وهكذا ، فإننا نستبعد ذلك العنوان المكتوب بخط حديث على صفحة الغلاف ، ولا بد أنه أضيف في فترة متأخرة على أساس من التصنيف غير المدروس . كما نستغرب إدراج اسم ابراهيم مغلطاي تحته إذ لا يوجد مؤرخ في العصر المملوكي بهذا الاسم ، وربما يعود لناسخ مجهول ، أو أحد سماسرة المخطوطات التاريخية النادرة في العهود الإسلامية المتأخرة .

من دراسة هذه المقدمة يمكنا أن نصل إلى حقيقة أن مخطوط زيتيرشتين هو نسخة مشابهة في بعض النواحي لمخطوط برلين رقم Berlin Ms. 9835 وهو المخطوط الذي نعني بدراسته . ولعل الحقيقة التي نحاول أن نصل إليها هو إمكانية الإشارة إلى مخطوط برلين تحت اسم مؤلفه الحقيقي بدر الدين بكتاش الفاخري بحيث نعتمد عليه من غير جدال أو شك ، فنضيف بذلك إلى قائمة المؤرخين المعاصرين لعهد الناصر محمد بن قلاون واحداً من كبار المساهمين في طبيعة مجريات حوادث ذلك العهد المهم .

يقع المخطوط الذي نعني بدراسته في حوالي ١٩١ ورقة ، وتتكون كل ورقة من لوحتين أ ، ب . الخط واضح وجميل ، وهو من خطوط القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، في كل سطر عشر كلمات . ونلاحظ فقدان جزء من أوله ، وكذلك جزء من آخره . كما توجد أوراق مفقودة من مواضع متفرقة داخل المخطوط ، من ذلك ورقة رقم ١٣ موجود منها لوحة أ فقط . كذلك يتبين لنا من فحص أوراق المخطوط أن بعض الورقات المفقودة تغطي سلطنة سيف الدين قطز وبداية سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري . ونلاحظ أن ورقة رقم ٧٦ موجود منها أ ، ثم فقدت بعض الأوراق التي تغطي حوادث عشرة شهور من شعبان سنة ٧١٥ هـ إلى جمادى الأولى سنة ٧١٦ هـ ، بالإضافة إلى ذلك ورقة ١٨٦ موجود منها أ فقط ، ثم يوجد جزء مفقود ربما كان ورقة واحدة ، حيث يظهر واضحاً أن سياق الكلام انقطع ، وقد لصقت لوحتان من ورقتين مختلفتين لتكونا ورقة واحدة .

كما يتضمن المخطوط هوامش يقصد منها إيضاح بعض النقاط في متن المخطوط . وقد

كتبها ناسخ المخطوط نفسه ، فمثلاً عند ذكر فتح القدس الشريف على يد صلاح الدين الأيوبي يذكر في الهامش أن وجود الصليبيين في القدس الشريف استمر اثنتين وتسعين سنة . أي أنها هوامش توضيحية كما في الورقات ٢ أ ـ ب ، ٤ أ ، ٣١ ب ، ٤٢ ب ، ٥٧ أ . كما توجد ، هوامش توضيحية أضيفت في فترات متأخرة من تاريخ سلطنة المماليك .

علاوة على ذلك تتضمن بعض جوانب المخطوط أقوالاً مأثورة وحكماً وحكايات هادفة من أيام الخلافة العباسية يقصد منها إبراز بعض صفات القدماء ، جمعت من مؤلفات سابقة أو عن بعض الرواة المعاصرين ، فأدرجها من أطلع على المخطوط من العلماء وكبار الشخصيات حيث كتبت في جوانب بعض الصفحات مثل ورقة ٦٠ ب ( الجانب الأيسر ) ، ومثل ذلك في الورقات ١١٤ ب ، ١٢٥ ب ، ١٣٤ ب ، ١٤٤ ب ، ١٤٩ ب . وهذا يدل على أهمية المخطوط ، وأنه اطلع عليه أكثر من عالم ومؤرخ ومفكر على مر السنوات . زيادة على ذلك يوجد بعض الهوامش ختم باسم « فخر الدين السيد محمد نافع » مما قد يوحي بأن هذا المخطوط كان في حوزة المذكور كما هو واضح في الورقات ٦٩ ب ، ٧٠ ب ، ٧١ ب .

أما بالنسبة إلى الاضافات فنلاحظ أنه في طرف اللوحة أ ورقة ٨٦ عند ذكر قصور سرياقوس في متن المخطوط كتب تعليق توضيحي بخط مختلف ، ويتضمن التعليق الإشارة إلى هدم هذه القصور ونقل حجارتها إلى خانقاة سرياقوس في عهد السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٤٠ هـ . ويبدو أن هذا التعليق كتب في تلك الفترة على يد بعض النساخ بخط مختلف ويتميز بالوضوح والتنقيط :

« ومن شهر ذى الحجة سنة أربعين وثمانمائة هدم القصر المذكور ونقل حجارته إلى خانقاة سرياقوس لعمارة جامع ، وذلك في دولة مولاي السلطان الملك الأشرف برسباي ثبت الله قواه . فما بين عمارة القصر المذكور وهدمه مائة سنة وسبعة عشر سنة ( مخطوط برلين : ورقة ٨٦ أ )

بالإضافة إلى ذلك هناك تعليق على طرف الورقة ٨٧ أ من جانب اليمين كتبه ناسخ التعليق السابق نفسه الذي على ما يظهر كان معاصراً لعهد الأشرف برسباي ( ٨٢٥ ـ ٨٤٢ هـ / ١٤٢١ ـ ١٤٣٨ م ) ، والظاهر جقمق ( ٨٤٢ ـ ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣ م ) ، وذلك عند الإشارة إلى وظائف الخزندارية والاستادارية إذ يقول :

« تولى هذه الوظائف الثلاثة الأمير فيروز النوروزي الطواشي في دولة الملك الظاهر

جقمق في سنة ست وأربعين وثمان مائة كتب في ثاني عشر شوال سنة أحد وخمسين وثمان مائة وهو أمير طبلخاناة إلى الآن ، وهو مستمر على وظائفه في دولة الملك الأشرف إينال العلائي وهو سنة سبع وخمسين وثمان مائة » ( مخطوط برلين : ورقة ٨٧أ ) .

وهناك أيضاً تعليق على الجانب الأيسر من الورقة ١٢٢ ب .

أما محتوى المخطوط فيتضمن قسمين ، الأول ويحتوي على :

١) الدولة الأيوبية منذ أيام الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي ( ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ) ، مع بيان فتوحاته وأهمها فتح مملكة بيت المقدس ، واستمر عهذه تسع عشرة سنة وأربعة شهور .

٢) السلطان العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين حكم ست سنوات إلا شهراً .

٣) الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وحكم تسعة عشر عاماً وأربعة وخمسين يوماً ، مع بيان أهم الحوادث التي وقعت في أيامه .

٤) السلطان الكامل ناصر الدين محمد بن سيف الدين أبو بكر بن أيوب ، وحكم عشرين سنة وشهراً ونصف شهر حيث يذكر المؤلف فتوحاته ، وحوادث عهده ، وما طرأ من تغييرات في العراق واليمن والحجاز وسوريا .

٥) الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن الكامل ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وقد حكم سنتين وثلاثة شهور حيث تم خلعه لعدم كفايته سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م .

٦) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل بن العادل أبي بكر بن أيوب الذي حكم في الفترة ما بين ٦٣٧ - ٦٤٧ هـ / ١٢٣٩ - ١٢٤٩ م . ومن ثم يتناول المؤلف الأعمال العسكرية لهذه الحقبة ، والمنشآت المعمارية ، كذلك الصراع بين الفرنج والشاميين وبين الخوارزمية وعسكر مصر وهزيمة الجانب الأول ، بالاضافة إلى حملة لويس التاسع الصليبية السابعة إلى مصر ووقوعه في الأسر .

٧) سلطنة غياث الدين توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي حكم سبعين يوماً فقط حيث يعطي المؤلف شرحاً وافياً للوضع السياسي في الدولة الأيوبية ، وكيفية اشتراك الفارس أقطاي وشجرة الدر في حكم الدولة الأيوبية إلى جانب السلطان الصغير الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف الذي كان عمره وقتذاك ست سنوات ومعه مدبر دولته الأتابك الأمير عز الدين ايبك الجاشنكير . وقد استمر

هذا الوضع من سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م إلى عام ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م عندما استقل المعزايبك بحكم الدولة الأيوبية . وأخيراً في نهاية تاريخ الدولة الأيوبية تلخيص لمرحلة الانتقال في الحكم من البيت الأيوبي إلى عهد المماليك الأتراك البحرية بزواج المعزايبك الجاشنكير من الملكة شجرة الدر حيث تعرض هذه الحوادث في اثنتي عشرة ورقة تتكون كل ورقة من أ ـ ب . ومن ثم يبدأ المؤلف في نهاية ورقة ١٢ ب كتابة أخبار دولة المماليك الأتراك تحت عنوان « ذكر دولة الترك بالديار المصرية » ، وقد كتب المؤلف مرحلة الانتقال هذه باختصار شديد حتى يأتي إلى سلطنة المظفر سيف الدين قطز دون أن يهمل الإشارة إلى سقوط بغداد على يد التتار عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م بقيادة هلاوون إذ نلاحظ ضياع بعض الأوراق التي تتضمن حوادث عهد المظفر قطز . إلى جانب سلطنة الظاهر بيبرس والتركيز على فتوحاته ونجاحه في تخليص المعاقل والمدن الإسلامية من القبضة الصليبية حيث نجح في فتح يافا وشقيف وانطاكية ودركوش وبغراس وصافيتا ومجدل وحصن الأكراد وحصن عكار وقلعة صهيون . هنا نلاحظ أن المؤلف يبدأ بذكر تفاصيل الحوادث بشيء من التفصيل والإسهاب مع العناية البالغة بذكر الفتوحات العسكرية ، والدفاع الإسلامي ضد الوجود الصليبي في ساحل الشام . وكذلك ذكر المنشآت والعمائر التي اهتم ببنائها ورعاية ما تقدمه من خدمات عامة . كما بذل الظاهر بيبرس الجهود البالغة لتخليص بعض المراكز الشامية من سيطرة التتار مثل البلستين . وهكذا تحظى النواحي العسكرية في دولة المماليك باهتمام المؤلف سواء أكانت تلك الجهود بذلت ضد الصليبيين ، أم التتار أم الروم ، ثم وفاة الظاهر بيبرس بعد حكم دام ثماني عشرة سنة ( ٦٥٨ ـ ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧ م ) .

ويظهر لنا واضحاً أن المؤلف يسير في عرضه لتاريخ هذه الدول وفق التسلسل التاريخي لسير حياة الشخصيات البارزة في هذه الحقبة ، فيذكر اسم الشخصية الحاكمة ثم سنوات الحكم ، وأهم حوادث العهد ، مع بيان مفصل للفتوحات العسكرية والمنشآت العمرانية التي تمت في هذه الحقبة . وأخيراً توضيح كيفية انتهاء حكم السلطان المشار إليه ، إما بالوفاة وإما بالعزل . وعلى ذلك فإن المؤلف يذكر تاريخ سلاطين مصر والشام من الأيوبيين والمماليك بالتسلسل حسب تتابعهم في الحكم مع ملاحظة أنه يوضح حوادث العصر المملوكي بشيء من التفصيل والشرح المطول بسبب معاصرته لهذه الفترة من التاريخ الإسلامي . والجدير بالذكر أنه عند دراسة سلطنة الملك السعيد بركة ابن الظاهر بيبرس ( ٦٧٦ ـ ٦٧٨ هـ / ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩ م ) يلفت نظرنا اهتمام المؤلف بذكر كبار أصحاب المناصب الحساسة في دولة المماليك مثل وظيفة نيابة السلطنة بالديار المصرية ، والاستادارية

والحجابة ، وأمراء الجاندارية . كما يظهر لنا كذلك من تفحص فترة حكم الملك السعيد بركة رغم الايجاز الذي سار عليه المؤلف في ذكره لحوادثها الدور الذي بدأ يلعبه كبار الأمراء في عزل السلطان الحاكم وتولية آخر بدلاً منه ، الأمر الذي سيكون له بالغ الأثر في طبيعة سير سياسة الحكم في دولة المماليك ، وهنا نجد أن الأوليجاركية من كبار الأمراء يعملون على عزل الملك السعيد بركة وتولية أخيه الملك العادل بدر الدين سلامش الذي كان في السابعة من العمر . ونتيجة لذلك تم خلعه بعد حكم دام ثلاثة شهور فقط على يد أتابكه قلاون الألفي الذي أعلن نفسه سلطاناً للدولة المملوكية ( ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م ) .

ويحرص المؤلف هنا على ذكر أصحاب المناصب الإدارية الكبيرة في السلطنة ولعل أهمها منصب نيابة السلطنة ، ونقابة الجيوش والأتابكية ، مع التركيز على الفتوحات العسكرية ، والانتصارات الإسلامية ضد الصليبيين ، وفتح كل من قطيبا ، والكختا ، وحصن المرقب ، وطرابلس ، وأنفا . كما يشير إلى فتنة الأمير سنقر الأشقر واستقلاله بمملكة الشام . وكذلك اهتمام قلاون بتطبيق مبدأ الوراثة في الحكم ، فيعين ولده علاء الدين عليا ولياً للعهد ووريثاً له في حكم سلطنة المماليك . ثم يبدأ المؤلف في شرح حوادث الفترة بشيء من الإسهاب مخالفاً بذلك منهج الايجاز والاختصار الذي سار عليه في عرضه لحوادث الدولة الأيوبية . ويهتم بتفصيل ما يتعلق بالمنشآت العمرانية التي تمت في هذا العهد مثل المدرسة المنصورية والبيمارستان المنصوري . بالإضافة إلى الحرص على ذكر من توفي في هذه الحقبة من كبار الأمراء ، وكذلك كافة تحركات السلطان قلاون في مختلف الأقاليم المملوكية .

علاوة على بيان حرص قلاون على ولاية العهد لأحد أولاده ، ولذا فإنه يعلن أن الأشرف خليل هو ولي عهده بعد أن توفي الصالح علي .

وبعد وفاة المنصور قلاون ينتقل المؤلف إلى ذكر سلطنة الأشرف خليل ( ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م ) الذي تم على يده فتح عكا وقلعة الروم والبهنسا . ولعل أهم حوادث هذا العهد القبض على عدد من كبار أمراء الدولة ، مما أثار استياء الطبقة الأوليجاركية من كبار الأمراء المماليك ، وانتهى الوضع بمقتل الأشرف خليل . هنا يصل المؤرخ إلى الحقبة التي عاش حوادثها وعاصرها وهي فترة حكم الناصر محمد بن قلاون منذ أن تولى الحكم وعمره تسع سنوات ( ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ / ١٩٢٣ - ١٢٩٤ م ) حيث يتناول :

١) فتنة الوزير الشجاعي .

٢) ظهور حسام الدين لاجين المتآمر على قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاون .
٣) خلع الناصر محمد في محرم ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م وتولى الأتابك كتبغا السلطنة تحت اسم السلطان العادل كتبغا المنصوري ( ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٩٢٤ - ١٢٩٦ م ) .

ومن ثم بعد ذكر الكادر الوظيفي الخاص بالأوليجاركية الارستقراطية من كبار الأمراء المماليك ، يشير المؤرخ إلى الغلاء والمجاعة الوباء والفناء الذي بليت به سلطنة المماليك في عهد العادل كتبغا . إلى جانب قدوم قبيلة الأويراتية التتارية وترحيب كتبغا البالغ بهم . وأخيراً استيلاء نائب السلطنة على السلطة وإعلان نفسه سلطاناً لدولة المماليك بدلاً من العادل كتبغا باسم المنصور حسام الدين لاجين المنصوري ( ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٩٢٦ - ١٢٩٨ م ) . ونلاحظ أن المؤلف يشير إلى رجال دولته وفتوحاته مثل تل حمدون ، وقلعة مرعش ، وقلعة نجية ، وحجر شغلان ، وسرفندكار ، بل لقد بلغ مجموع الحصون التي فتحها أحد عشر حصناً . كما يشرح المؤلف أهم حوادث هذا العهد مثل الروك الحسامي حيث أجرى مسح كامل للأراضي المصرية ، وانتاجها من العبرة الغذائية ، وتقسيمها بين كوادر الجهاز الوظيفي في الدولة من المقطعين . وأخيراً استفراد مملوكه منكوتمر في تدبير شؤون الدولة دون الرجوع إليه مما أدى إلى قتله وقتل مملوكه . بعد ذلك يبين المؤلف كيفية عودة الناصر محمد إلى الحكم مرة أخرى حيث يتناول ذلك تحت عنوان « ذكر الدولة الناصرية الثانية » ( ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م ) في الورقات ما بين ٤٢ أ - ٥٢ ب ، فيذكر أرباب الوظائف من كبار أمراء الدولة من الحجاب والاستادارية والأمراجاندارية ، ونقباء الجيوش . وهكذا يفصل المؤلف أهم حوادث هذا العهد منذ مقتل السلطان حسام الدين لاجين المنصوري على يد طقجي ، ثم الاتفاق على استدعاء الناصر محمد من الكرك ليجلس على كرسي الحكم في سلطنة المماليك . كما يسهب في ذكر العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول فارس حيث يشرح المؤلف مسألة احتلال المغول للشام ونجاح المماليك في طردهم منها في ربيع الأول عام ٦٩٩ هـ / كانون الأول - ديسمبر عام ١٢٩٩ م ، ومشاركة الناصر محمد شخصياً في هذه الحملة ضد المغول . بالاضافة إلى شرح واف لموقف الحكومة المملوكية من أهل الذمة من رعاياها ، وما صدر في حقهم من قرارات رسمية تحد من حرياتهم في العمل والعيش ، وأخيراً موقف الناصر محمد من هذه الفئة من الشعب . علاوة على الإشارة إلى رد الفعل المملوكي تجاه ثورات العربان في الصعيد . كما يوضح المؤلف وضع الخلافة العباسية في دولة المماليك إبان هذا العهد الناصري الثاني .

كما يصف موقف دولة المماليك في هذه الفترة من الصليبيين المستقرين في جزيرة رودس .

علاوة على ذلك نلاحظ حرص المؤلف على ذكر تعاقب كبار الأمراء في إدارة مسؤ وليات المناصب العليا في الدولة واجتهاد الناصر محمد في العمل على مصادرة المعزولين منهم . وأخيراً توضيح المؤلف لكيفية تسلط كل من سيف الدين سلار وبيبرس الجاشنكير على حقوق الناصر محمد وصلاحياته في السلطة والحكم مما جعله يعمل على عزل نفسه من الحكم والتوجه إلى الكرك . وفوق ذلك كله كان المؤلف حريصاً على ذكر الوفيات من كبار الشخصيات المعاصرة في هذه الحقبة .

وهكذا تبدأ سلطنة ركن الدين بيبرس الجاشنكير ( ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م ) التي استمرت حوالى عشرة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، حيث يتولى الأمير سيف الدين سلار منصب « نيابة السلطنة بالديار المصرية » . ومن ثم يشرح المؤلف أبرز حوادث هذا العهد ، ووفيات الفترة من كبار شخصيات الدولة ، إلى جانب ميل بعض الأمراء إلى مناصرة الناصر محمد ، والتوجه إليه في الكرك ضد بيبرس الجاشنكير . كذلك تشجيع كبار الأمراء للناصر محمد على العودة من أجل استرداد ملكه في سلطنة المماليك . ونتيجة لذلك يبدأ الناصر محمد رحلة العودة والمطالبة بحكم السلطنة حيث ينجح في دخول دمشق . وعندما تصل هذه الأخبار إلى السلطان بيبرس يغادر القاهرة هارباً إلى الصعيد محملاً بما استطاع حمله معه من الذهب . وهكذا نجح الناصر محمد في الوصول إلى القلعة بالقاهرة في يوم الأربعاء مستهل شوال ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م ، وبذلك تبدأ فترة حكم الناصر محمد الثالثة ( ٧٠٩ - ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤١ م ) من الورقة ٥٦ ب إلى ١٤٨ ب .

يستهل المؤلف أخبار هذه الحقبة بذكر نواب السلطنة ، والحجاب ، والاستادارية ، وكبار الأمراء الجاندارية ، ونقباء الجيوش ، ثم يتناول المؤلف دراسة حوادث هذا العهد بتفصيل دقيق حيث يظهر المامه البالغ بطبيعة مجريات حوادث هذه الفترة بحكم معاصرته إياها ، إذ يوضح هذا بشكل ظاهر في ورقة ٦١ ب تحت عنوان « ذكر أمراء نقباء الجيوش المنصورة » فيقول : « ثم تولاها بعده **مؤلف هذا التاريخ المبارك وهو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري** أخلع عليه بعد دفن الشيرازي في يوم الأحد المذكور قبل ( خامس المحرم سنة ثمان وثلاثين وسبعماية ) وباشر الوظيفتين نقابة الجيوش المنصورة ونقابة المماليك السلطانية وقام بهما أتم قيام وشكرت سيرته ، وحمدت طريقته . قال ناسخه أجمع أهل عصره على أن لم يتولى هذا المنصب مثله في المعرفة والذكاء المفرط ، والكتابة الحسنة ، وطهارة اللسان ، والأدب والتواضع » . ( مخطوط برلين : ورقة ٦١ ب - ٦٢ أ )

ولعل أول حوادث هذه الفترة التي يعني المؤرخ بشرحها تفصيلياً مسألة القبض على السلطان بيبرس الجاشنكير . ثم يأخذ الناصر محمد في تطبيق تلك السياسة التي تميز بها والخاصة بتأمير الكثيرين من المماليك الناصرية مع التطرف من جانب آخر في عزل كبار

الأمراء أصحاب السلطة والقوة ، والعمل على الحيلولة دون استمرار أي نائب في إدارة أي ولاية فترة طويلة حتى لا يفكر في الانفصال والتمرد على الحكومة المركزية في القاهرة . بالإضافة إلى ذلك يشير المؤرخ إلى موضوع القبض على عدد كبير من كبار الأمراء والمسئولين في الدولة ، وسجن بعضهم ، واغتيال البعض الآخر .

وحيث إن المؤرخ عاصر حوادث هذه الفترة ، فإننا نجده يدرس حوادثها حسب المنهج الحولي بذكر السنة ، وما وقع فيها من وقائع وتغييرات في مختلف النواحي السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والإدارية ، والثقافية والاجتماعية ابتداء من سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ، وهي العام الأول لحكم الناصر محمد في العهد الثالث وحتى وفاته عام ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م حيث يتناول بالتفصيل الموضوعات الآتية :

١) الإصلاحات الإدارية التي تم إنجازها في الدولة تحت إشراف الناصر محمد شخصياً .

٢) النشاطات العسكرية التي قامت بها الجيوش المملوكية شمالاً في سيس وماردين وأياس ، وجنوباً في النوبة وضد قبائل بدو الصعيد ، وغرباً ضد عربان طرابلس والصليبيين في رودس ، وشرقاً لحماية الحدود من ثورات البدو الانفصالية ، وهجمات المغول العدائية .

٣) الحركة العمرانية الكبيرة التي شهدتها السلطنة في هذا العهد الزاهر اقتصادياً والمتفوق ثقافياً حيث نشهد ذكر مفصل للمباني الجديدة التي أضيفت على القلعة ، وقصور سرياقوس والخانقاة فيها ، وخليج الاسكندرية ، ومدينة الناصرية ، بالإضافة إلى العدد الهائل من المدارس والخانقاوات والترب ، والجوامع ، والمساجد ، علاوة على الجسور والترع والقنوات ومجاري الماء من أجل الارتقاء الفكري ، والازدهار الاقتصادي ، والاستقرار الاجتماعي .

٤) الأحوال الاقتصادية والأسباب المؤثرة فيها . ولعل أهم شيء أنجزه الناصر محمد خلال هذه الحقبة الروك الناصري ، مع العناية بإقامة الجسور وبحيرات الماء العذب لتوفير المياة للزراعة على مدار السنة بدافع من الخشية لعدم حدوث الفيضان ، وكذلك السدود في مناطق الطمي الغزير على ضفتي النيل لحماية الأراضي الخصبة وقت الفيضان .

٥) ظهور وبروز عدد من الشخصيات الهامة إبان هذا العهد مثل تنكز الحسامي ، وعبد الوهاب النشو ، وكريم الدين الكبير وغيرهم ممن كان لهم بالغ الأثر في تطور الحوادث وتفاعلها بشكل أو بآخر .

٦) نشاط الجهاد الإسلامي ضد ملطية ،وسيس، وغيرها من بلاد الأرمن ومعاقل الصليبيين .

٧) المؤامرات السياسية التي كانت تهدف إلى الإطاحة بحكم الناصر محمد مثل حركة بكتمر الجوكندار ، ومؤامرة شمس الدين قراسنقر المنصوري ، وفتنة بكتمر الساقي بالاشتراك مع الماس الحاجب وغير ذلك من التدابير التي كانت تحاك بالسر ضد الناصر محمد شخصياً وضد سلطنته وحكمه ، إلا أنها جميعها باءت بالفشل .

٨) العلاقات مع كبرى القبائل العربية مثل آل مهنا ، وآل فضل ، وآل نمي في الحجاز .

٩) العلاقات الديبلوماسية مع مغول فارس ، ومغول القفجاق ، والممالك الاسبانية ، والامبراطورية البيزنطية ، ومملكة الكرج ،والبابوية وفرنسا وغيرها من الممالك المجاورة والبعيدة .

١٠) التقسيمات الإدارية التي أحدثها الناصر محمد في حدود الأقاليم المملوكية ، وعاصمة كل إقليم مع تعيين وال في تلك المدينة العاصمة لتدبير شئونها الداخلية .

١١) الأزمات الاقتصادية والصحية التي منيت بها سلطنة المماليك في هذا العهد والدور الإيجابي الفعال الذي لعبه الناصر محمد في التصدي لكل هذه الأزمات قبل استفحالها فتعجز أجهزة الدولة عن تطويقها وحماية الرعية مما كان له أطيب الأثر في نفوس الرعية وحبهم له ، فحظي الناصر محمد طوال فترة حكمه بشعبية لم يصل إليها غيره من السلاطين المماليك .

١٢) طبيعة العلاقة بين الناصر محمد وأهل الذمة من رعاياه ، وموقفه من العداء التقليدي بينهم وبين المسلمين مما استوجب منه الصرامة والحكمة والحلم معاً من أجل تأكيد المشاعر الانسانية الودية بين الجانبين لهدف تحقيق العيش معاً بسلام وتعاون .

١٣) موقف الناصر محمد من مبدأ تأكيد الحكم في أسرته بمقتضى حق الوراثة ، فتتم ولاية العهد لابنه آنوك ، ثم بعد وفاته فجأة يعلن ابنه الآخر أبو بكر وريثاً شرعياً له في الحكم بعد وفاته ، مما يبين بعد التطلعات السياسية التي كانت تسيطر على فكر الناصر محمد وتسيره داخل قنوات معينة من المواقف الحازمة التي تميز بها عهده ونظام حكومته .

١٤) وضع القضاء ومنزلة القضاة خلال هذه الحقبة من الحكم الناصري الصارم .

١٥) محاولات الناصر محمد لتحقيق الأحلاف السياسية والعسكرية بواسطة الزواج من بيوت الأسر المالكة في الدول المعاصرة ، كما هو الحال في زواجه من البيت الحاكم في دولة مغول القفجاق من أجل تأكيد الحلف معها ضد مغول فارس عام ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م .

ثم يصل المؤلف إلى الكتابة عن السنوات العشر الأخيرة من حكم الناصر محمد ، فنلاحظ الإسهاب الكبير في بيان حوادث الفترة ، ولعل هذا يعود بالدرجة الأولى إلى كون المؤلف قريباً من البلاط الناصري إبان هذه الحقبة . ومن ثم كان أكثر مقدرة على تقصي أخبار الأمراء والنواب والولاة . إلى جانب ما كان يجري في البلاط الناصري من اتصالات ديبلوماسية مع الدول الأخرى ( ورقة ١١٠ ب ) ، وكذلك الاستقبالات الخاصة بكبار النواب في الولايات الملوكية وأقاليمها ( ١٠٨ أ ـ ١١٠ ب ) ، كذلك يشرح موقف الناصر محمد من الخلافة العباسية ، وبالذات من الخليفة العباسي المستكفي بالله أبي الربيع سليمان .

كما يبين المؤلف ازدياد حوادث العزل والحبس ضد كبار الأمراء في الدولة في الفترة الأخيرة من حياة الناصر محمد حيث يظهر واضحاً أن الشك كان يسيطر على تصرفات الناصر محمد بشكل كبير .

بالإضافة إلى ذلك يشير المؤلف في خلال هذه السنوات إلى الكثير من التفاصيل الدقيقة لحوادث هذا العهد مما يبرهن على أن المؤلف عاصر هذه الحقبة ، وشهد كافة مجريات الحوادث وتطور الأوضاع عن قرب في البلاط الناصري .

ومن جانب آخر نلاحظ عناية المؤلف بشرح العلاقات الخارجية لسلطنة المماليك في أثناء هذه الفترة حيث يتناول :

١) ذكر وفيات حكام الدول المجاورة مثل الامبراطورية البيزنطية ( ورقة ٤ ب ) ، ودولة مغول فارس ( ورقة ٣٨ أ ) .

٢) تطور الوضع السياسي في دولة مغول فارس أيام الدولة الأيوبية .

٣) تتابع حكام البلاد المجاورة في تولي السلطة بدولهم .

٤) معركة حمص ضد التتار أولاً ، ثم معركة مرج الصفر وطرد التتار من الشام في حملة عسكرية كبيرة بقيادة الناصر محمد شخصياً وبرفقته الخليفة العباسي .

٥) تبادل السفارات الديبلوماسية بين الدولة البيزنطية والبلاط الناصري ( ورقة ٧٢أ ) .

٦) تبادل الرسل بين دولة مغول القفجاق والبلاط الناصري ، على سبيل المثال ( ٧٢ب - ٧٣أ ، ٧٧أ ، ٧٧ب ، ٨٧ب ) ، وتستمر هذه العلاقات إلى سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م .

٧) العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول فارس في عهد أبي سعيد الذي كان حريصاً على تبادل الرسل مع البلاط الناصري ( ٨٦أ ، ٨٦ب ، ٨٨أ ، ٨٨ب ، ٩٠ب ، ٩٢أ ، ٩٢ ب - ٩٣أ ، ٩٤ب ، ٩٥أ ، ٩٧أ ) وتستمر هذه العلاقات الطيبة والروابط الودية بين الدولتين حتى وفاة أبي سعيد سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م .

٨) المحاولات المستمرة من أجل استقرار السلطة المملوكية في النوبة حيث ينجح الناصر محمد في تأمين سلطة عربية إسلامية في ذلك الاقليم تدين بالولاء لسلطنة المماليك .

٩) قدوم سفارة من فرنسا إلى بلاط الناصر محمد سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م مما يبين حرص الدول الصليبية الكبرى على توثيق علاقاتها بدولة المماليك مباشرة عقب الانتصار المملوكي في عكا .

١٠) وصول رسل من ملك الهند سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م مما يوضح عمق الروابط الدينية الروحانية مع البلاد الإسلامية .

١١) تبادل المراسلات والهدايا مع حاكم ماردين ( ورقة ١٤٣ ب ) .

١٢) طبيعة الاتصالات الأولى بين الدولة الزنكية والطلائع الصليبية القادمة إلى الشرق الإسلامي .

١٣) العلاقات بين الدولة الفاطمية والممالك الصليبية .

١٤) الصراع الأيوبي - الفرنجي في سبيل تحرير البلاد الإسلامية ، وينجلي الصراع عن عودة عدد من المدن الإسلامية إلى الحكم الأيوبي .

١٥) الكفاح المملوكي لتحرير المعاقل الصليبية في الساحل الشامي ، والتمكن من إحراز الانتصارات المتتابعة ضد الصليبيين حتى سقوط عكا بيد الأشرف خليل سنة ١٢٩١ م .

١٦) الصلات الديبلوماسية بين دولة مغول القفجاق وسلطنة المماليك التي كانت قائمة على الصداقة والمودة العميقة .

١٧) الوضع السياسي في دولة مغول فارس ، وما كان يجري فيها من صراع دموي من أجل السلطة والحكم .

١٨) الروابط الديبلوماسية بين البلاط المغولي والبلاط الناصري منذ دخول التتار سوريا ، ثم إسلام محمود غازان ، وأخيراً الصداقة الخالصة في عهد أبي سعيد .

بعد ذلك يفصل المؤلف كيفية إسناد ولاية العهد رسمياً إلى ابن الناصر محمد وهو أبو بكر ، وأخذ الحلف له من كبار الأمراء المماليك . وتنتهي حوادث هذه الفترة بوفاة الناصر محمد بن قلاون في يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ/ ١٣٤١ م حيث يعطي المؤلف موجزاً لفترات حكمه الثلاث . ولكننا نجد أن المؤلف في نهاية ورقة ١٤٨ ب يقول عند الانتهاء من ذكر عهد الناصر محمد وبداية عهد المنصور أبي بكر :

« هذا ما انتهينا إليه في هذا الجزء الأول ، وسنذكر تتابع التاريخ ، وما جرى من بعد الناصر في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى » .

وعلى ذلك يمكن القول إن هناك جزءاً ثانياً لهذا المخطوط . أما فيما يتعلق بالجزء الأول الذي تولينا دراسته ، فإننا نستطيع الجزم أن مؤلفه بدر الدين بكتاش الفاخري ( ت ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ م ) نقيب الجيوش المملوكية في عهد الناصر محمد بن قلاون . ويقع هذا الجزء في ١٤٨ ورقة ، وتتكون كل ورقة من أ ـ ب .

بعد ذلك في الورقة التالية من المخطوط يبدأ عنوان جديد هو « ذكر بناء البيت المقدس وفتوحاته حرسه الله تعالى » . ومن ثم نسأل هل هذا القسم التالي من ورقة ١٤٩ أ ـ ١٩١ أ هو الجزء الثاني من مخطوط بدر الدين بكتاش الفاخري ؟ إذا كان الجواب بالإيجاب فما هو الدليل على ذلك ؟ أما إذا كان النفي فما هو البرهان المؤيد لذلك ؟ لكي يمكننا الإجابة على هذه التساؤلات لا بد من الدراسة المتفحصة لهذا القسم ، وبناء عليها ربما يمكننا تصنيف هذه الأوراق المخطوطة ، وما إذا كانت تكون الجزء الثاني لمخطوط بدر الدين بكتاش الفاخري الذي أشار إليه في نهاية الجزء الأول الذي سبقت دراسته .

بعد العنوان يبدأ المؤلف ذكر بناء البيت المقدس وفتوحاته ، فيذكر أنه بناه سيدنا سليمان بن داود في السنة الرابعة من ملكه . ثم فتحه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة هجرية صلحاً . بعد ذلك استمر بيت المقدس تحت الحكم الأموي ، ثم الدولة العباسية ، ومن بعدها الدولة السلجوقية إلى أن نجح الصليبيون في إقامة مملكة بيت المقدس الصليبية . وظلت خاضعة للسيطرة الصليبية حتى فتحها صلاح الدين يوسف بن

أيوب في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م حيث أصبحت تحت الحكم الأيوبي ثم المملوكي (ورقة ١٤٩ أ ـ ١٥٢ أ) .

عقب ذلك يذكر المؤلف عنواناً جديداً « ذكر بناء عكا وفتوحاتها » حيث يروى أن عبد الملك بن مروان بنى عكا في بادىء الأمر ، ثم خضعت لحكم الدولة الفاطمية في مصر ، ثم الدولة الخوارزمية . ولكن تم بعد ذلك عودتها للحكم الفاطمي تحت إدارة أمير الجيوش بدر الجمالي ، وأخيراً سقوطها في يد الصليبيين حتى بدأ المنصور قلاون فرض الحصار حولها ، وفتحها الأشرف خليل عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ( ورقة ١٥٢ أ ـ ١٥٤ أ ) . وتحت عنوان « ذكر فتوحات عسقلان » يناقش المؤلف الوضع التاريخي لعسقلان ، وكيف فتحت على يد معاوية بن أبي سفيان سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م ، واستمرت خاضعة للحكم الإسلامي إلى أن تم وقوعها في يد الصليبيين سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م بعد أن صمدت ضد هجماتهم منذ سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م إلى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م لمناعتها ، وقوة حصونها ، واستماتة أهلها في الدفاع عنها بشجاعة وعزيمة .

ولكن صلاح الدين الأيوبي فتحها سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م . ولما خشي الملك العادل عودة الفرنج إليها عمل على هدمها وتدميرها حتى لا تكون معقلاً صليبياً ينطلق منه المحاربون الفرنج مرة أخرى لمهاجمة القوى الإسلامية ، ( ١٥٤ أ ـ ١٥٨ أ ) .

بعد ذلك يأتي عنوان « ذكر ظهور الطائفة الفرنجية » حيث يشير المؤلف إلى الحركة الصليبية والوضع السياسي الذي كانت عليه البلاد الإسلامية عند قدوم الفرنج في تأكيد وجودهم في المنطقة طوال قرنين من الزمان ( ١٥٨ أ ـ ١٥٨ ب ) .

بعدها يذكر المؤلف عنوان « ذكر البلدان التي ملكوها منذ خرجوا » مبتدئاً بـ « مدينة نيقية بالروم » التي سقطت بيد الصليبيين سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م ، وانطاكية سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، والرها سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، والبارة وهي من عمل المعرة عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، وسروج في ذي الحجة سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، والمعرة في شعبان سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م ، والبيت المقدس في شعبان سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م ، وقيسارية في رجب ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م ،وأنطرسوس في جمادى الآخرة سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م ، وجبيل في رجب ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م ، وعكا في شعبان ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م ،

وحصن بسرقون في جمادى الآخرة سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م ، وتل عدي في ذي الحجة سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م ، وحصن الخربة في شوال سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م ، وطرابلس في ذي الحجة سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م ، وبلنياس في شوال سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م ، وجبلة في ذي الحجة سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م ، وحصن بن عكار والمنيظرة سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م ، وطرطوس سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م ، وحصن الأكراد سنة ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م ، وبيروت في شوال ٥٠٣ هـ / ١١١٠ م ، وصيدا في جمادى الأولى سنة ٥٠٤ هـ / ١١١١ م ، وحصن الأثارب في جمادى الآخرة سنة ٥٠٤ هـ / ١١١١م ، وحصن الشوبك سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٦ م ، وحصن المرقب سنة ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، وتل قرادة سنة ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، وحصن القبة سنة ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، وحصن أولاطنس سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩ م ، وقلعة السن من الجزيرة سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩م ، واعزاز من عمل حلب سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩ م ، وتل هراق سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩ م ، وحصن الحبيس سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩ م ، والبيرة سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٣ م ، وصور في جمادى الأولى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٥ م ، وبانياس في ذي القعدة سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ، وقلعة غزة التي احتلها الفرنج ثم اجتهدوا في عمارتها وتحصينها حتى تم ذلك سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ، ( ورقة ١٥٨ ب - ١٦٦ ب ) .

ثم ينتقل المؤرخ إلى نوع من الدراسة التاريخية المستفيضة لمدينتين هما عسقلان وطرابلس منذ الفتح العربي حتى الاحتلال الصليبي وتحريرهما على يد القادة المسلمين . ويظهر لنا واضحاً أن ما يذكره المؤلف هنا هو تكرار لما سبق ذكره في تاريخ الدولة الأيوبية بإيجاز . أما بالنسبة لمدينة طرابلس فالمؤلف يسهب في شرح وضعها التاريخي منذ أن فتحها سفيان الأزدي ، ثم احتلها الفرنج سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م بعد حصار طويل ومقاومة شديدة من السكان . واستمر الفرنج في طرابلس إلى أن فتحها المنصور قلاون سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م ، ( ورقة ١٦٧ أ - ١٧١ ب ) .

عقب ذلك ينتقل المؤلف إلى عنوان جديد يتناول « ذكر ما جرى من الحوادث بالأماكن التي تذكر كالرياح العواصف والأمطار الغزار والبرد الكبار والسيول والصواعق والجراد » .

في هذا الفصل يوضح المؤلف ما تعرضت له المناطق المملوكية في مصر والشام من تغيرات في الظواهر المناخية كالرياح الشديدة ، والأمطار الغزيرة والسيول والصواعق وغير ذلك ، كما حدث في حمص سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م ، وظاهر دمشق سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م ، والنعيمة سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م ، ودمشق سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠ م ، ( ورقة ١٧١ب - ١٧٦أ ) .

هنا يأتي المؤلف إلى ذكر الشيخ شمس الدين بن الجزري الذي كما يبدو ينقل عن تاريخه ، والمعنى هنا هو المؤرخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن أبي بكر الجزري الدمشقي ، توفي سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨ م عن إحدى وثمانين سنة ، ( المقريزي ص : ٤٧١ ) ، (ورقة ١٧٤ ب ) .

ويستطرد المؤلف في شرح مواد هذا الفصل فيقول إنه وقع في بعلبك سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م سيل عظيم حيث ينقل المؤلف ما حدث بسبب هذا السيل عن الشيخ قطب الدين اليونيني ، وشمس الدين البعلبكي إذ يقول : « ومن شهود المحضر الشيخ قطب الدين اليونيني وشمس الدين البعلبكي ، وغيرهما من الأكابر يقول مؤلفه إن هذا المحضر وصل الى الأبواب السلطانية الناصرية وقرىء على المسامع الشريفة وأعطاني بذلك نسخة الأمير سيف الدين بلبان القجقاري رحمه الله تعالى ، وهو يومئذ نايب استاددار فنقلته منها على هذه الصورة . وأما ما ذكره الشيخ شمس الدين بن الجزري في تاريخه عن هذا السيل المذكور فقال :

« لما كان يوم الخميس التاسع والعشرين من صفر سنة سبع عشر وسبع ماية وصلت الأخبار الى دمشق بأمر السيل الكاين في بعلبك ، فعند ذلك رسم الأمير سيف الدين تنكز نايب السلطنة بالشام المحروس للقاضي كمال الدين بن الشركسي وكيل بيت المال المعمور بالشام المحروس بالسفر الى بعلبك بسبب الحوطات على أموال من عدم والاحتراز على ذلك ، فسافر وعاد الى دمشق في ربيع الأول ، فاجتمعت به عند وصوله وسلمت عليه وسألته عن ذلك ، فأخرج لي أوراق الكشف عن هذا السيل وما أثر وهي أربع نسخ ، نسخة لمولانا السلطان خلد الله ملكه ، ونسخة لنايب السلطنة بالشام المحروس ، ونسخة للنايب بمدينة بعلبك ونسخة بيده فكتبت ماتضمنته احدى النسخ وهو ما صورته أوراق مباركة تشتمل على عدة ما هدم السيل الواقع بمدينة بعلبك المحروسة بتاريخ يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر سنة سبع عشر وسبع ماية » . ( ورقة ١٧٨ب ـ ١٧٩ ب ) .

وعلى ذلك يمكننا أن نستنتج من هذا النص الآتي :

١) إن مؤلف هذا الجزء معاصر للسلطان الناصر محمد بن قلاون ، وكانت له علاقة وثيقة برجال البلاط مثل الأمير بلبان نائب الاستاددار .

٢) إن المؤرخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن أبي بكر الجزري الدمشقي ( ت٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ) كان معاصرا لنائب الشام في عهد الناصر محمد وهو سيف الدين تنكز الحسامي ، ومن جانب آخر عاصر حوادث السيل التي وقعت في مدينة بعلبك سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م .

٣) إن مؤرخ هذه الحوادث التي وقعت في بعلبك ينقل عن المحضر الرسمي الذي وصل للناصر محمد بخصوص هذه الواقعة ، كما ينقل عن تاريخ الجزري الذي كان يعيش وقتذاك في دمشق وله مكانة كبيرة في مجلس نائب الشام .

٤) نلاحظ في النص السابق كلمة « مؤلفه » ، وهي تذكرنا بما أشرنا إليه في البداية « مؤلف » هذا التاريخ المبارك وهو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري . . . » ، مما يساعدنا على الاعتقاد بأن مؤلف هذا الجزء الثاني هو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري نقيب الجيوش .

٥) شخصية الشيخ شمس الدين بن الجزري والمعنى هو المؤرخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن أبي بكر الجزري الدمشقي المتوفي سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م عن إحدى وثمانين سنة . ( المقريزي جـ ٢ : ٤٧١) وقد كان هذا الرجل مؤرخا مشهورا ، وقد أخذ منه الكثيرون ممن اشتهرت كتبهم . له كتاب كبير اسمه « جواهر السلوك في الخلفاء والملوك » ، وهو مخطوط ، ويوجد منه بدار الكتب المصرية ثلاث مجلدات يبتدىء أولها بسنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ، وينتهي آخرها بسنة وفاة المؤلف . ( المقريزي ، جـ٢ : ٤٧١ ، هامش ٣) .

أما ابن حجر فيذكر عن الجزري انه « محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد العزيز الجزري شمس الدين الدمشقي ، ولد سنة ٦٥٨ ، وسمع من الفخر علي وابراهيم بن أحمد بن كامل والتقى الواسطي ، وابن المجاور ، والدمياطي والعراقي وابن دقيق العيد ، والابرقوهي وغيرهم ، قال الجعفري : كان حسن المذاكرة ، سليم الباطن ، جمع تاريخا مشهورا ، وله شعر وسط . . . وخرج له البرزالي مشيخة عن عشرة من الشيوخ ، وحدث بها سنة ٣٨ ، قال الذهبي :

« كان حسن المذاكرة ، سليم الباطن ، صدوقا في نفسه ، لكن في تاريخه عجائب وغرائب ، وكان متواضعا محبا في الصالحين ، وكان يرحب بهم ، وكان له مسلك جيد ، وربما شهد على الحكام ، مات في واسط سنة ٧٣٩ » . ( ابن حجر ، جـ٣ : ٣٨٨ ـ ٩ ) .

وعلى ذلك ، فإننا نختلف مع الفارت Ahlwardt بأن الجزري توفي عام ٨٣٣هـ ونختلف مع زيتير شتين في استنتاجه ـ المبني على تحديد سنة وفاة الجزري التي ذكرها الفارت ـ بأن هذا القسم لا بد أنه أضيف في عصر لاحق[٢] . بل إننا نؤكد بأن صاحب هذا الجزء الذي نعتبره الثاني هو بدر الدين بكتاش الفاخري الذي كان معاصرا للجزري ونقل عن كتابه « جواهر السلوك في الخلفاء والملوك » . وان هذا الجزء من المخطوط لا يمكن أن

يرجع بأي حال من الأحوال حسب تقدير الفارت الى حوالي عام ٨٣٥هـ .

بالإضافة إلى ذلك يشير المؤلف إلى واقعة العواصف والأمطار التي تعرضت لها حلب في سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م ، فهلك عدد كبير من الناس ، كما تهدمت المباني وخربت البساتين ( ورقة ١٨٠ب ـ ١٨٢أ ) .

كذلك ظهر في سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م في حلب وعين تاب والفوعة ومعرة مضر وجبل سمعان وبلد عزاز وتل باشر والراوندان جراد عظيم حيث اجتمع نواب هذه المناطق لقتله والحيلولة دون انتشاره فيقضي على المزروعات ( ورقة ١٨٢ أ ـ ب ) . كما يتناول ما تعرضت له البيوت الواقعة بين أرض الركيب وبين قرية المعيصرة بسبب الريح العاصفة التي هبت على تلك المنطقة في صفر سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م حيث عدم الكثير من الأنفس والأموال والبيوت في قرى ساحل طرابلس ، وقد تسلم نائب طرابلس محضرا كاملا بما حدث بكل التفاصيل ومن ثم كتب محضراً رسمياً بكل ما وقع إلى نائب دمشق الذي أرسله بدوره « **إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عز نصره ، وكان ممن طارت به الريح ولد من أولاد طرالي المذكور فقضي الله بسلامته وحضر الى الأبواب السلطانية وأخبر بالحال وسأل خبز والده وتقدمته فأجيب وأنعم عليه بما سأل** » ( ورقة ١٨٤ أ ) . لا شك أن هذا الخبر يؤكد أن مؤلف المخطوط كان معاصرا للناصر محمد بن قلاون ، بل وكان مقربا منه في البلاط بدليل معرفته بهذه الشفاعة لمساعدة المقطعين ـ ربما ـ بسبب درايته بوضع الأجناد وحاجتهم للأخباز المخصصة لعيشهم ، وهذا كان من الأسباب التي أهلته لمنصب نقيب الجيوش المنصورية إلى جانب وظيفة نقابة المماليك السلطانية (ورقة ١٨٢ ب ـ ١٨٤أ ) .

ثم يذكر المؤلف أنه في صفر سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م هبت ريح شديدة في أعمال الدقهلية والمرتاحية . كما تعرضت بلاد قوص وأسوان لمثل ذلك سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ، ( ورقة ١٨٤ ب ـ ١٨٥أ ) .

بعد ذلك يروي المؤلف حكاية عن بيبرس الدوادار تعرض لها حجاج سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م عند عودتهم من الحج ومعهم موسى ملك التكرور حيث عانوا الجوع والعطش وماتت دوابهم حتى صادفوا سمكة كبيرة فأكلوا منها حتى شبعوا وهذا يؤكد أن المؤلف ينقل عن المؤرخ المعروف بيبرس الدوادار الذي تولى منصب نيابة السلطنة بعضا من الوقت في عهد الناصر محمد بن قلاون ( ورقة ١٨٥أ ـ ب ) .

ويقارن المؤلف هذه الحادثة بأخرى وقعت في الدولة الناصرية الصلاحية سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م ،(ورقة ١٨٥ب ) . ومن جانب آخر تعرضت ولاية بهسنا في سنة ٧٢٥هـ

./ ١٣٢٥م لبرد عظيم أهلك المواشي والطيور والزرع ، فكتب نائبها الأمير سيف الدين بهادر النوري بذلك محضرًا مثبتا. بعد ذلك ينتقل المؤلف في نهاية المخطوط إلى فصل خاص بالعلاقات الديبلوماسية بين دولة مغول القفجاق وسلطنة المماليك في عهد الناصر محمد بن قلاون (ورقة ١٨٦ب ـ ١٨٧ب ) .

علاوة على ذلك ، هناك فصل خاص بدولة مغول فارس في عهد أبي سعيد « ذكر مملكة أبي سعيد ملك العراق والعجم » حيث يعطي المؤلف ملخصا للوضع السياسي لهذه الدولة في أثناء حكم أبي سعيد (٧١٧ ـ ٧٣٦ هـ/١٣١٧ ـ ١٣٣٥م ) ، فيوضح طبيعة العلاقات الوطيدة التي قامت بين دولة أبي سعيد وسلطنة المماليك في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون .

وتولى الحكم بعده أربا كاؤ ون ، ولكن تم قتله بعد بضعة شهور على يد أحد منافسيه . وعلى ذلك شهدت دولة مغول فارس سلسلة من الصراع السياسي من أجل السيطرة والحكم . وأخيرا يشرح المؤلف طبيعة العلاقات الديبلوماسية الودية بين دولة مغول فارس وسلطنة المماليك ، إلا إن المخطوط ينتهي دون إكمال هذا الموضوع بسبب ضياع القسم المتبقي . وفي الحقيقة يصعب تحديد عدد الأوراق المفقودة ، غير أنه يمكننا أن نخمن من قراءتنا للمخطوط أنها تتضمن تاريخ حكم أولاد الناصر محمد حتى سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م وهي سنة وفاة الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري ، وبذلك تغطي تلك الأوراق المفقودة حكم المنصور أبي بكر بن الناصر محمد (٧٤١ ـ ٧٤٢هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٣٤١م ) ، والأشرف كوجه بن الناصر محمد الذي حكم فترة قصيرة من عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م ، والناصر أحمد بن الناصر محمد (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م ) ، وأخيرا الصالح اسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢ ـ ١٣٤٥م ) .

ونتيجة لهذه الدراسة المستفيضة يمكن القول إن المخطوط الذي بين أيدينا(Berlin Ms. 9835) يقع في جزئين ، الأول عبارة عن ١٤٨ ورقة أ ـ ب ، مع ملاحظة ضياع بعض الأوراق في بداية المخطوط ، والثاني ٤٣ ورقة أ ـ ب ، ثم ينقطع المخطوط . أما مؤلف الجزئين معا فهو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري ، كما تدل على ذلك نصوص المخطوط بصراحة ووضـــوح .

وعلى ذلك ، فإن الجزء الثاني لم يضفه أحد على الجزء الأول في وقت لاحق[٣] ، وإنما كتبه المؤلف استكمالا لمخطوطه الذي يقع في جزئين واضحين كما تبين ذلك نصوص المخطوط . ولكن تجب الإشارة إلى أن هناك فجوة بين ورقة ١٨٥ و١٨٦ ـ ربما ـ لا تزيد عن لوحتين كما يظهر ذلك من سير الحوادث وتتابعها . ويظهر بصورة واضحة أن المؤلف بدر

الدين بكتاش الفاخري كان أميرا ذا منصب كبير ومنزلة عالية حيث عاش في بلاط الناصر محمد بن قلاون ، وكان على ادراك تام بما يدور في مركزالدولةمن حوادث وأمور . وهو يروي ما يشاهده ويضيف عليه ما قرأه في كتابات المؤرخين المعاصرين الذين وافتهم المنية قبله ، فوقع على ما كتبوه حول ذلك العهد المهم من تاريخ سلطنة المماليك مثل بيبرس الدوادار وشمس الدين محمد بن ابراهيم الجزري وغيرهم .

ونلاحظ أن المؤلف يركز بحكم منصبه ووظيفتهواهتماماته على الثورات السياسية ، والفتوحات العسكرية ، والانتصارات الحربية ، إلى جانب العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى . أما بالنسبة للنقاط التي اهتم المؤلف بذكرها على وجه التخصيص في إسهاب واضح فهي تلك التي وقعت في سنوات حكم الناصر محمد بن قلاون، حيث يركز المؤلف على بيان الحركات السياسية مثل ثورة الأشرفية ضد الأمير سيف الدين كتبغا ، وأصحاب المناصب الكبيرة في الحكومة والجيش في دولة الناصر محمد بن قلاون، ، ويظهر واضحاً أن المؤلف يبدأ في ذكر الحوادث والوقائع باسهاب وتفصيل منذ بداية تولي الناصر محمد الحكم في محرم ٦٩٣هـ / كانون الأول ـ ديسمبر ١٢٩٣م .

ونلاحظ أن المؤلف يهتم برواية شيء عن ترجمة حياة كبار شخصيات الدولة عند الإشارة إلى سنة وفاتهم . وفي كلامه عن سلطنة حسام الدين لاجين نجده يشير إلى نشاط الجيش المملوكي ، والموضوعات المتعلقة بالنواحي الإدارية ، والعلاقة بين السلطان حسام الدين لاجين المنصوري وكبار الأمراء المماليك الأوليجاركية في البلاط السلطاني .

وعند معالجته للعهد الثاني لحكم الناصر محمد يلفت نظرنا اهتمام المؤلف بالتغييرات الإدارية ، والمؤامرات السياسية ، والصراع العسكري ، رغم أنه يشير الى كافة هذه الموضوعات بشيء من الإيجاز خاصة تلك الحوادث التي تقع خارج عاصمة دولة المماليك مثل ثورات البدو .

وعلى ذلك فالمخطوط له أهمية بالغة فيما يختص بدراسة عهد الناصر محمد بن قلاون ، وكذلك له فائدة كبيرة في معالجة تطور الجهاز الإداري في هذا العهد ، ومن ثم اهتم المؤلف بذكر كل رجال الدولة الذين كانت لديهم اهتمامات في النواحي الإدارية في سلطنة المماليك .

كما يتناول المخطوط باختصار سلطنة بيبرس الجاشنكير حتى يصل الى العهد الثالث لحكم الناصر محمد حيث يظهر واضحا أنه كان شاهد عيان للحوادث التي وقعت خلال هذا العهد فأجاد وصفهاوذكر حقائقها . ونرى أنه في معالجته لهذه الوقائع يتبع المنهج الحولي

حيث يذكر الوقائع مجردة من التعليق الشخصي كما كان حريصا على ذكر الصلات الديبلوماسية التي ربطت سلطنة المماليك بغيرها من دول الشرق والغرب . إلى جانب عنايته بالإشارة إلى الإصلاحات الداخلية في مصر . وللمخطوط أهمية في معرفة موقف الناصر محمد بن قلاون من الخلافة العباسية . وهكذا يروي المؤلف حوادث عصر الناصر محمد بتفصيل وافٍ إلى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤١م حيث يشير إلى وفاة الناصر محمد وتولى ابنه أبي بكر عرش سلطنة المماليك .

ويقع تاريخ الدولة الأيوبية في ١٢ ورقة من لوحتين أ ـ ب . ثم من ورقة ١٣ أ الى ١٤٨أ نجد تفصيلا مكثفا عن تاريخ سلطنة المماليك ، خاصة سنوات حكم الناصر محمد بن قلاون .

والجدير بالذكر ان المؤلف يركز في تاريخه على الفتوحات الإسلامية ضد الوجود الصليبي والأقاليم الأرمنية ، وما حققته الجيوش المملوكية في سبيل تأكيد السلطة المملوكية في الثغور الشمالية الأرمنية مثل سيس ، وملطية ، وأياس وغيرها حتى أمكن تأسيس سلسلة من المعاقل المملوكية على طول الحدود الشمالية التي تمثل الحدود الجنوبية لأرمينيا الصغرى .

## الأهمية التاريخية للمخطوط :

١) الأوضاع السياسية في الدولة الأيوبية .
٢) العلاقات بين الدولة الأيوبية والفرنج .
٣) النشاط الصليبي في الدولة الأيوبية .
٤) الأحوال السياسية في العراق في نهاية العهد العباسي .
٥) المناوشات بين التتار والخلافة العباسية .
٦) تسلل التتار الى داخل البلاد إلاسلامية ، والاستيلاء على بعض النقاط الاستراتيجية .
٧) سقوط بغداد في يد هلاوون المغولي سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م .
٨) جهود السلاطين المماليك الأتراك البحرية في تخليص البقاع الإسلامية من القبضة الصليبية .
٩) طبيعة الأحوال الاقتصادية في سلطنة المماليك ، والعوامل المؤثرة في تغيير الاقتصاد المستقر في الدولة .

١٠) الاسهاب في ذكر حوادث العهد الثاني لحكم الناصر محمد ، ووفيات هذه الفترة مما يخالف كثيراً أسلوب الاختصار الذي سار عليه المؤلف في معالجة تاريخ الدولة الأيوبية ، فهل يمكننا أن نعتمد هذه الحقيقة كبرهان يؤكد قولنا بأن المؤلف كان معاصرا للدولة المملوكية ، وبخاصة منذ عهد السلطان المنصور قلاون حتى أصبح من كبار الشخصيات في بلاط الناصر محمد بن قلاون .

١١) تطور الأوضاع السياسية في دولة مغول فارس ، والنزاع الداخلي الذي كان يحدث أحيانا بين الحكام ومنافسيهم من كبار أمراء البلاط ( ورقة ١٠٨ب ـ ١٠٩ب ) .

١٢) بيان مظاهر الاستقرار الذي حظيت به سلطنة المماليك طوال العهد الثالث لحكم الناصر محمد مما كان له بالغ الأثر في عمل الكثير من الاصلاحات الإدارية ، والاقتصادية ، والضرائبية ، مع التركيز على إنشاء المراكز الثقافية .

١٣) الإشارة الى الدراهم التي ضربت في بغداد الواقعة تحت حكم التتار .

١٤) معرفة الأهمية التاريخية لكل من بيت المقدس ، وعكا ، وعسقلان ، والمراحل التاريخية التي مرت بها هذه المدن ، والدول التي تعاقبت على حكمها حتى قدوم الموجات الصليبية ، ثم تحرير هذه المدن على يد الأيوبيين والمماليك .

(١٥) الحركة الصليبية وأثرها السياسي على البلاد الإسلامية ، وخطورة الوجود الفرنجي في المنطقة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

١٦) الدور الذي لعبه السلاطين المماليك في طرد الصليبيين من المنطقة الإسلامية.

**جدول يبين بإيجاز أوجه الاختلاف والاتفاق**
**بين الكتاب الذي نشره زيتيرشتين ومخطوط برلين**

| المادة | زيتير شتين / مخطوط ميونخ | Berlin Ms. 9835 |
|---|---|---|
| البداية بالسنوات | ٦٩٠ هـ/ ١٢٩٠م | ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م |
| النهاية | ٧٤١هـ / ١٣٤١م | ٧٤١هـ / ١٣٤١م |
| بدء الحوادث | عهد الأشرف خليل بن قلاون | عهد صلاح الدين يوسف الأيوبي |
| الصفحة | ص١ | ورقة ١ أ |
| عهد الأشرف | ص ١ :<br>الاثنين ١٢ من جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ هـ عندما دخل الأشرف خليل دمشق بعد فتح عكا . | ورقة ٣١ ب :<br>يشير المؤلف الى دخول الأشرف خليل دمشق بعد الانتصار في عكا في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ هـ . |
| سلطنة الأشرف | صفحة ١ ـ ٢٥ | ورقة ٢٩ أ ـ ٣٣ أ |
| طريقة العرض | إسهاب مع تفصيل دقيق | اختصار وإيجاز |
| سلطنة الناصر الأولى<br>العناوين : | صفحة ٢٥ ـ ٣٣<br>١ ـ وفاة الأشرف<br>٢ ـ تولى الناصر الحكم .<br>٣ ـ ما جرى للأمراء الذين كانوا مع بيدرا<br>٤ ـ حادثة الشجاعي مع كتبغا وكيف قتل .<br>٥ ـ ذكر سنة أربع وتسعين وستمائة<br>٦ ـ ثورة الأشرفية | ورقة ٣٣أ ـ ٣٦ ب<br>١ ـ توليته السلطنة<br>٢ ـ نائبه<br>٣ ـ حجابه<br>٤ ـ الأستاددارية<br>٥ ـ امراء جاندارية<br>٦ ـ نقيب الجيوش المنصورة<br>٧ ـ الفتوحات في أيامه<br>٨ ـ ذكر الحوادث والمتجددات في دولته . |
| الاختلاف | صفحة ١ ـ ١٤٥ | ورقة ١ أ ـ ٥٥ ب |
| المؤلف | مجهول | بدر الدين بكتاش الفاخري |

| المادة | زيتير شتين / مخطوط ميونخ | Berlin Ms 9835 |
|---|---|---|
| الاتفاق | صفحة ١٤٥ ـ ٢٢٤ (بكتاش الفاخري) الدولة الناصرية الثالثة حسب المنهج الحولى بذكر حوادث السنوات . | ورقة ٥٦أ ـ ١٤٨ ب (بكتاش الفاخري) الدولة الناصرية الثالثة حيث يذكر المؤلف نفس حوادث مخطوط ميونخ . |
| أوراق مفقودة من مخطوط برلين وما يعادلها في كتاب زيتير شتين | ١ ـ صفحة ١٥٦ ـ ١٥٨<br>٢ ـ ١٦٣ ـ ١٦٦ | تشمل نهاية حوادث سنة ٧١١ هـ وبداية حوادث سنة ٧١٢ هـ مفقودة عند نهاية ورقة ٦٩ أ حوالي ٣ لوحات تشمل نهاية حوادث سنة ٧١٥هـ الى نهاية حوادث سنة ٧١٧ هـ مفقودة عند نهاية ورقة ٧٦ أ حوالي ٦ لوحات . |
| الاتفاق | حوادث السنوات ٧٠٩ هـ ـ ٧٤١ هـ وتشمل الصفحات :<br>١٤٥ الى ٢٢٤<br>مؤلفها بدر الدين بكتاش الفاخري | حوادث سنوات العهد الثالث للناصر محمد :<br>٧٠٩ هـ ـ ٧٤١ هـ<br>١٣٠٩ م ـ ١٣٤١ م<br>ورقة ٥٦أ ـ ١٤٨ ب<br>مؤلفها بدر الدين بكتاش الفاخري |
| أوجه الاتفاق | ١ ـ المنهج<br>٢ ـ طريقة العرض<br>٣ ـ حوادث السنوات<br>٤ ـ الأخبار المكتوبة بالتتابع<br>٥ ـ الحوادث التي وقعت . | نجد تطابقا واضحا في هذا الجزء ويشمل العهد الثالث لحكم الناصر محمد مما يؤكد أن مؤلف هذين القسمين المحددين مؤرخ واحد دون شك . |

| المادة | زيتير شتين/ مخطوط ميونخ | Berlin Ms 9835 |
|---|---|---|
| الاختلاف | صفحة ٢٢٥ ـ ٢٢٩<br>وتشمل ذكر موضوع الجوامع والمدارس والخانقاوات التي بنيت في عهد الناصر محمد . | لا يوجد شيء من هذا القبيل على الاطلاق في هذا المخطوط ، إذ يبدأ الجزء الثاني بذكر بناء بيت المقدس وفتوحاته . |
| الاتفاق | صفحة ٢٢٨ ـ النهاية<br>١ ـ المدن الشامية<br>بيت المقدس<br>عكا<br>عسقلان<br>٢ ـ ذكر ظهور الطائفة الفرنجية<br>٣ ـ البلاد التي ملكها الصليبيون<br>٤ ـ ذكر ما تعرضت له مصر والشام من الرياح والعواصف والأمطار والسيول والصواعق والجراد .<br>٥ ـ العلاقات الديبلوماسية بين سلطنة المماليك ومغول القفجاق .<br>٦ ـ ذكر دولة مغول فارس والعلاقات الطيبة بين دولة ابي سعيد والناصر محمد . | ورقة ١٤٩أ ـ النهاية ١٩١أ<br>يوجد تشابه كبير جدا بين موضوعات هذا الجزء في كلا المخطوطين مخطوط ميونخ ، ومخطوط برلين ، كما يظهر واضحا أن مؤلف المخطوطين في هذا القسم هو الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري نقيب الجيوش المنصورة في الدولة الناصرية الثالثة . |
| الأجزاء | جزءان الأول لمؤلف معاصر للناصر محمد ولكنه مجهول الهوية والثاني مؤلفه الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري . | جزءان كلاهما من تأليف بدر الدين بكتاش الفاخري . |
| الأسلوب | الجزء الأول من ص١ ـ ١٤٥ مختلف في أسلوبه عن الجزء الثاني من ص ١٤٥ ـ النهاية . | الأسلوب واحد في كلا الجزئين الأول ورقة ١أ ـ ١٤٨ب ، والثاني ١٤٩ أ ـ النهاية . |

| المادة | زيتير شتين / مخطوط ميونخ | Berlin Ms 9835 |
|---|---|---|
| المنهج | في الجزء الأول يميل الى الاسهاب والافاضة في شرح الحوادث . بينما يميل الى الاختصار في الجزء الثاني الذي يخص العهد الثالث للناصر محمد فيذكر الكثير من الحوادث ، ولكن في منهج يتميز بالايجاز مع اتباع المنهج الحولى في ذكر السنة وحوادثها بشكل متتابع . | المؤلف يذكر الحوادث بشيء من الاختصار والإيجاز في كلا جزئي المخطوط ، وإن كان يعطي أهمية أكبر للعهد الثالث من حكم الناصر محمد ، ويتبع في شرح وقائعه المنهج الحولى بذكر السنة أولا وما وقع فيها من حوادث بعد ذلك . |

من هذه الدراسة يمكننا أن نصل إلى نتيجة واضحة تنحصر في أن ما يقوله زيتيرشتين فيما يتصل بمخطوط ميونخ الذي حققه صحيح حيث ينقسم المخطوط المذكور إلى قسمين الأول لمؤلف مجهول معاصر للناصر محمد بن قلاون والثاني للأمير بدر الدين بكتاش الفاخري . إلا إن هذه الحقيقة لا تنطبق على مخطوط برلين رقم Berlin Ms 9835 حيث إن المخطوط يؤلف كتلة واحدة من جزئين كما سبق أن أوضحنا ، وهو وحدة متكاملة فيما يتعلق بالأسلوب والعرض والمنهج المتبع في سرد الحوادث ، ويبدأ بالعصر الأيوبي الذي هو غير موجود في مخطوط ميونخ .

الحوادث المذكورة من سنة ٦٩٠ ـ ٧٠٩هـ في كتاب زيتيرشتين تختلف عن مخطوط برلين في مختلف الوجوه . أما الاتفاق فيظهر واضحا من العهد الثالث لحكم الناصر محمد بن قلاون حتى نهاية المخطوط إذا ما تجاوزنا ما ذكره مخطوط ميونخ باختصار عن منشآت الناصر محمد بعد وفاته . وعلى ذلك نستنتج أن القسم الأول من الجزء الأول في مخطوط برلين (9835) هو قسم من تاريخ الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري ، ولم يكن موجودا في مخطوط ميونخ ، وإنما كان ذلك من تأليف مؤرخ آخر . أما مخطوط برلين فهو يشتمل على هذا الجزء من تاريخ الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري . وهكذا يمكننا القول أن مخطوط برلين هو من تأليف هذا الأمير ويمثل كتابا واحدا من جزئين لمؤرخ واحد كما يؤكد هذا معظم عبارات المخطوط ونصوصه (ورقة ٢٦أ) . أما العبارة التي يبدأ بها العهد الثالث للناصر محمد في كتاب زيتير شتين« وهذا ما ألفه وجمعه من المستقبل لا الماضي وهو المقر العالي الزعيمي الكفيلي البدري بدر الدين بكتاش نقيب الجيوش المنصورة بالديار المصرية أدام الله سعادته » ص١٤٥ ـ ١٤٦ . . . فهي تنطبق فعلا على مخطوط ميونخ الذي اعتمد

عليه زيتيرشتين لأن الناسخ كان يدرك أن الجزء الذي قبل ذلك من مخطوط ميونخ ليس من تأليف بدر الدين بكتاش الفاخري ، ولذا رأى من الواجب التنويه ، في حين أن الأمر ليس كذلك مع مخطوط برلين لأن الناسخ كان يعلم أن المخطوط لمؤلف واحد هو الأمير بكتاش ، ولذا لم يذكر أي شيء يماثل تلك العبارة .

ومن ثم فإننا نستطيع أن نؤكد أن مخطوط برلين Berlin Ms.9835 هو عبارة عن كتاب واحد من جزئين ألفه الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري كما توضح ذلك عبارات المخطوط حيث نجد إشارة ظاهرة لنهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني ؛ ولكن من المؤسف حقا هو فقدان جزء في نهاية هذا المخطوط والذي يشمل حوادث السنوات من ٧٤١ هـ - ٧٤٥هـ وهي فترة حكم أولاد الناصر محمد . ومما يؤكد أن مؤلف هذا المخطوط هو شخص واحد « الأمير بدر الدين بكتاش الفاخري » إنه عند دراستنا للمخطوط اتضح لنا بشكل بارز أن الأسلوب واحد في كلا الجزئين ، فعبارات المؤلف قصيرة ، محدودة الكلمات ، وتعطى الحقيقة بشكل موجز وواضح . بالإضافة إلى أن المنهج واحد يعتمد على الاختصار والإيجاز مع التركيز منذ بداية المخطوط الى نهايته على ذكر صور الجهاد الإسلامي ضد الوجود الصليبي الدخيل في ساحل الشام ، ثم الاهتمام ببيان الفتوحات العسكرية والانتصارات الحربية التي أنجزها المماليك بنجاح سواء ضد الأرمن شمالا أم النوبة جنوبا ، أم العربان في طرابلس والصعيد وسيناء ، وأيضا ضد المغول وتهديداتهم للحدود الشرقية في بلاد الشام . ونحن لا نستغرب ذلك حيث أن المؤلف نقيب الجيوش المنصورة ، ولا بد بحكم وظيفته واهتماماته أن يعنى بالشئون العسكرية ويركز على ذكرها وشرحها ، بل إنه يبدأ الجزء الثاني بباب كبير يختص بدراسة وضع المدن والقلاع والموانىء الشامية قبل وأثناء وبعد الغزو الصليبي وتحريرها على يد الأيوبيين والمماليك . أما عن منهج المؤلف بدر الدين بكتاش الفاخري في العرض التاريخي فنجده يروى الخبر بإيجاز وكلمات محددة تدل على الموضوعية والابتعاد عن الميول الشخصية مع زيادة الاهتمام بذكر الفتوحات العسكرية والأنشطة الحربية . ونلاحظ أنه يفصل في سرد وقائع الحوادث إذا ما كان للحادثة أثر على طبيعة الوضع السائد أو عندما يكون للواقعة رد فعل جذري على الوضع السياسي في الدولة مثل ثورة الأشرفية على سبيل المثال . كما يهتم بذكر الحوادث حسب حدوثها تاريخيا وتتابع وقوعها مع الحرص على بيان نتائج كل حادث أو إجراء أو تغيير ، ولكن يغلب عليه الإيجاز والاختصار مع دقة ما يروى . أما أسلوبه التاريخي فهو بسيط وواضح مع العناية في اختيار الكلمات المناسبة التي تفيد الخبر بشكل موضوعي . بالإضافة إلى الدقة التامة في تواريخ الحوادث حيث يعرض الوقائع كما وقعت متتابعة ، مع الحرص على تقصي كيفية تطور كل حدث وما أعقبه من اجراءات في السنوات التالية ، رغم أنه يتبع المنهج الحولي ، فيذكر

حوادث كل سنة على حدة ، غير أنه لا يغفل ما حدث فيما بعد بالنسبة لهذه الواقعة أو تلك الحادثة . أما مصادر المؤلف فهي ثلاثة :

**أولا** : مرئية حيث عاصر المؤلف عصر الناصر محمد بن قلاون ، وكان شاهد عيان للعهد الثالث ، كما هو واضح في نصوص المخطوط حيث كان نقيب المماليك السلطانية ثم الجيوش المنصورة .

**ثانيا** : مصادر كتابية حيث ينقل عن بيبرس الدوادار ومحمد بن ابراهيم الجزري وغيرهم من المؤرخين المعاصرين الذين عايشهم ، وكان شاهد عيان معهم يراقب ما يحدث في سلطنة المماليك من تطورات داخلية وعلاقات خارجية . ثم بعد ذلك نقل عن كتاباتهم التاريخية التي تتناوّل هذا العصر وحوادثه .

**ثالثا** : المصادر السمعية حيث يشير المؤلف إلى ما كان يحكيه له من عاصروا الحوادث في السنوات المبكرة ، أو أولئك الرجال المقربون من المجالس السلطانية والنيابية في مختلف الأقاليم المملوكية ، والمدن والعواصم . وعلى ذلك يمكن القول أن مصادر المؤرخ بدر الدين بكتاش الفاخري مرئية وكتابية وسمعية فانعكس ذلك على كتابته حيث يمكننا أن نصفها بالصحة والصدق والدقة ، ونستطيع أن نعتمد عليها في دراسة تاريخ سلطنة المماليك منذ قيام الدولة الى وفاة الناصر محمد سنة ٧٤١هـ / ١٣٤١م .

وكل هذا يجعلنا نقول عن يقين أن لهذا المخطوط أهمية تاريخية بالغة بحيث يمكن اعتباره مصدرا أساسياً للباحثين في تاريخ سلطنة المماليك منذ قيام الدولة وحتى عام ٧٤١هـ / ١٣٤١م . بل إنه لا يمكن القيام بأي دراسة تاريخية لأي حقبة من هذه الفترة دون الرجوع إليه لما يشتمله من التفاصيل الدقيقة التي سجلها شاهد عيان تحرى الصدق والدقة في كل ما كتبه من وقائع . إلى جانب أهميته بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية التي ربطت سلطنة المماليك بغيرها من الدول المعاصرة والقوى الأجنبية في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

بالإضافة إلى ذلك يمكن اعتبار هذا المخطوط وثيقة تاريخية سجل فيها أحد كبار الأمراء في البلاط الناصري أخبار سلطنة المماليك إبان تلك الحقبة وما وقع بين حدودها ، وخلال علاقاتها الخارجية من وقائع وحوادث مما أعطى المخطوط طابعاً وثائقيا خاصا .

ولعل أحد أسباب أهمية هذا المخطوط هو كونه من تأليف أمير كبير ينتمي الى طائفة كبار الأمراء المماليك المقربين الى الناصر محمد فكان - نتيجة ذلك المركز - على ادراك تام بما

يحدث في البلاط السلطاني ، وطبيعة العلاقات التي ربطت بين الناصر محمد ونواب الأقاليم المملوكية ، وكذلك موقفه من ناحية أخرى بالاداريين أصحاب المناصب العليا في الدولة . ومما يعزز الطابع الوثائقي لهذا المخطوط ما يتصف به من الدقة والصدق في تسجيل ما يقع من حوادث ، فيضبط توقيت تاريخ حدوثها ، ثم يدون الواقعة بكلمات محدودة ومنتقاة بحرص تعبر عما حدث بشكل موضوعي وكأنه يروي الخبر مجردا من تأثير النوازع الانسانية التي قد لا تخدم هدف الموضوعية التاريخية المجردة . فهو لا شك يؤرخ للأحداث ولا يحللها تاريخيا ـ ربما ـ بدافع من الخشية في اعتماد ما لا صحة له ، والرغبة في تحري الصدق إلى أقصى حد ممكن . ولعله في انتهاج هذا المسلك في الكتابة يوافق ما يمكن أن تتصف به شخصية عسكرية رفيعة في بيئة تتميز بطابع التشكيك في النوايا والتوجس من وقوع صغائر الأمور . وقد يكون في هذا الأمر دافع رئيسي ، بل سبب قوي لنا في أن نعتمد هذا المخطوط كوثيقة تاريخية تتسم بالصدق في تسجيل الخبر بغض النظر عما يمكن أن تحققه رواية الخبر بشكل مختلف من أغراض شخصية ومنافع مادية للمؤلف فهو يتنزه عن كل ذلك في سبيل خدمة صدق الرواية التاريخية في بيان حوادث العصر . لهذا كله لا يمكننا أن نصف هذا المخطوط أكثر من كونه مصدرا أساسيا مهما لدراسة تاريخ سلطنة المماليك .

## الهوامش :

١) ينفرد مخطوطنا هذا ، ومخطوط فينا ـ الذي اعتمد عليه زيتيرشتين ـ من بين مصادر التاريخ المملوكي ـ بإضافة لقب الفاخري الى اسم الأمير بدر الدين بكتاش نقيب الجيش في عصر الناصر محمد بن قلاون ، وهو غير الأمير بكتاش الفخري المتوفي سنة ٧٠٦هـ والذي كان نقيبا للجيش أيضا .

٢) أنظر مقدمة زيتيرشتين التي سبق تعريبها والاشارة اليها .

٣) قارن ما يقوله Ahlwardt في مقدمة زيتيرشتين .

### قائمة الاختصارات :

الأرقام هنا تدل على رقم المصدر في قائمة المصادر والمراجع

| | |
|---|---|
| ١ ـ الدرر | ابن حجر |
| ٢ ـ زيتير شتين | زيتير شتين |
| ٣ ـ السلوك | المقريزي |
| ٤ ـ مخطوط برلين | Ms. 9835 |

## المصادر والمراجع :


١ - ابن حجر : أحمد علي (ت٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩م)
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
٥ أجزاء
القاهرة ١٩٦٦ م

٢ - زيتير شتين : تاريخ سلاطين المماليك
نشره كارل ف زيتير شتين
ليدن ١٩١٩م

٣ - المقريزي : أحمد بن علي ( ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م)
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك
ج١ ، ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة
ج٣ ، ٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ١٩٣٩ - ١٩٧١م

٤ - مخطوط برلين : تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب
رقم Ms. 9835